مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

2676-1742:Eissn

واقع الممارسة الفلسفية في الجزائر من خلال المنظومة التربوية والجامعية . د/عبد الله شريط أنموذجا

The reality of philosophical practice in Algeria through the education and university system Abdullah Cheriet is a model .

سعيد حدة*

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)

Houdadidouna@icloud.com

تاريخ ارسال المقال: 2022/06/04	تاريخ القبول: 2022 /08/12	تاريخ النشر:2022/09/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

برغم ما عرفته الجزائر المعاصرة من تحولات اقتصادية واجتماعية ومن الاضطرابات السياسية العنيفة، فالفلسفة ظلت غائبة وبعيدة عن هذه الأحداث، وسجلت غيابا وصمتا يكاد يكون كليا رغم خطورة القضايا المطروحة على المجتمع الجزائري ومستقبله.

تسعى هذه الدراسة إلى التطرق لمكانة الجامعة في الخطاب الفلسفي العربي من منظور الكاتب عبد الله شريط.

فما المقصود بالجامعة؟ وما هو التعليم العالي؟ وماذا نعني بالخطاب الفلسفي العربي؟ وما علاقة الأستاذ عبد الله شريط بذلك؟

الكلمات المفتاحية:

الجامعة، التعليم العالي، العلم، الممارسة الفلسفية، المنظومة التربوية، عبد الله شريط.

Summary :

Despite what contemporary Algeria has known of economic and social transformations and narrow political turmorl, he said sofsa remained absent and far from these events, and recorded an absence and complete silence, despite the seriousness of the issues raised en the Algerian society and its future.

This study seeks to address the position of the university in the Arab philosophical discourse from the perspective of the write Abdullah Cheraiet what is meant by university. And what is higher education? What do we mean by Arab philosophical discourse? And what is the relationship of professor Abdullah Cheraiet with that?

Keywords:

University, Higher education, Philosophical discourse, Science, Philosophical practice, The education system, Abdullah Cheraiet.

مقدّمة:

برغم ما عرفته الجزائر المعاصرة من تحولات اقتصادية واجتماعيه ومن الاضطرابات السياسية العنيفة، فقد ظلت الفلسفة غائبة وبعيدة عن هذه الأحداث، وسجلت غيابا وصمتا يكاد يكون كليا رغم خطورة القضايا المطروحة على المجتمع الجزائري ومستقبله.

هذا ما أثار فينا عدة تساؤلات: أهمها يتعلق بالفلسفة وقيمتها وأهميتها ودورها في المجتمع، إلّا أنّه ليس لدينا أيّة طريقة لمناقشة هذه المسألة عدا طريق التساؤل عن واقع الممارسة الفلسفية في الجزائر من خلال تشخيص أولي لمكانتها

وقيمتها في المنظومة التربوية والجامعية الجزائرية، وفي الكتابات الجامعية وغير الجامعية، وذلك من خلال تحليل نقدي لممارستها وإشكاليتها مع محاولة إبراز رهانات المعرفة والسلطة في هذا الفرع المعرفي الصعب والخطير في الوقت نفسه. وعليه، نحاول أن نتساءل وبطريقة تاريخية نقدية عن المسار التاريخي والمحتوى المعرفي لهذه التجربة، من أجل الكشف عن الآليات المتحكمة التي تتيح بإعادة الحضور الفلسفي في الجزائر من خلال استذكار المفكر الجزائري والرائد والفيلسوف المناضل المرحوم عبد الله شريط، الذي وافته المنية في العاشر من شهر جويلية عام 2010م، خاصة ونحن على أبواب ذكرى وفاته الثانية عشر.

يُعد المفكر الجزائري المرحوم عبد الله شريط (1921م/2010م) واحدا من كبار المفكرين المعاصرين، ومن أبرز رواد التفكير الفلسفي في الجزائر والوطن العربي، فهو أحد أعمدة الثقافة العربية الجزائرية ومن رواد الفكر النهضوي العربي. لقد تميز بفكره الشامل ونضاله المستمر، كما نجد له حضورا بارزا في عالم الفلسفة العربية والمعاصرة، ففي أعمال الندوة التي عقدتها الجمعية الفلسفية قبل سنوات قليلة في القاهرة عن "الفلسفة العربية في مائة عام" ورد ذكر اسمه 25 مرة إلى جانب المفكرين نجيب محمود وعبد الرحمن بدوي.

عاش عبد الله شريط تسعة وثمانين عاما قضى منها أكثر من ستين سنة منغمسا في محارب العلم والفكر والمعرفة. وإنّه من الصعب علينا بأي حال من الأحوال تصنيفه أو حتى إدراجه في زاوية معينة، حيث كان متعدد الاهتمامات متنوع الاختصاصات، فهو الشاعر الرومانسي الرقيق والأديب الذي عُرف بأسلوبه المبسط والسهل الممتنع، حيث تميز في الكتابة بالدقة ووضع الكلمات في مواضعها بعيدا عن الإطناب الممل والاختصار المخل. كذلك فهو ناقد أنجز عدة دراسات نقدية كما أنّه مترجم بارع؛ هو يتقن اللغة الفرنسية بامتياز إلا أنّه لا يهجر إليها فكرا ولسانا. لقد كان طوال حياته من أبرز المدافعين عن اللغة العربية في الجزائر، وفي سبيلها خاض العديد من المعارك الفكرية ضد دعاة الفرنسية والتغريب. كما قدم أفكارا ورؤى معمقة في سبيل النهوض بها وترقيتها في الجزائر والوطن العربي، وقد تعلق كثيرا بالعلامة ابن خلدون حيث تبنى المنهجية الخلدونية في رصده للظواهر الاجتماعية، وعلى ضوئها درس عددا من مواثيق الثورة الجزائرية مثل: ميثاق الصومام والميثاق الوطني وميثاق طرابلس.

وباختصار وكما قيل عنه: "هو واحد من أبرز فرسان القلم الجزائريين الذين تحشموا مشاق الكتابة والتدوين، وإبراز الجوانب الحضارية لهذه الأمة"[1].

سيرة عبد الله شريط وحياته ومؤلفاته:

عبد الله شريط صاحب أعمال فكرية ذات قيمة وكتاباته فلسفية ذات عمق، حياته كلها بحث وعلم وتفاني، هو قلم متميّز أثرى المكتبة الجزائرية والعربية، يحمل زادا معرفيا كبيرا ويمتلك من تجارب الحياة ما يقاوم به صعوباتها وأزمات الوطن، يعتبر كاتبا متميزا يحمل ثراء متنوعا وفكرا متجددا ويزخر بخبرة من تجارب الحياة التي صقلت موهبته و إبداعه. ولد عام 1921م بولاية أم البواقي، هو واحداً من كبار المفكرين المعاصرين الجزائريين، يعتبر من بين أبرز رواد التفكير الفلسفي في الجزائر والوطن العربي، كما أنّه أحد قامات الثقافة العربية الجزائرية.

دخل عبد الله شريط كتّاب القرية لحفظ القرآن، ثمّ التحق بالتعليم الأولي بالمدرسة الابتدائية الفرنسية عام 1927م، لينتقل إلى مدينة تبسة عام 1932م وينضم إلى مدرسة جمعية العلماء المسلمين حيث كان الشيخ العربي التبسي شيخه وأستاذه.

اتجه إلى تونس عام 1938م ودرس فيها عاما واحدا بسبب الحرب العالمية إنّ فكر عبد الله شريط فكرا صنع له حضورا قويا في محافل العربية كعلم من أعلام الفكر العربي المعاصر ظهور اسمه 25 مرة في الندوة الفلسفية العربية التي تم انعقادها في القاهرة لدليل على موقعه المرموق والمحترم في دائرة الفكر الفلسفي العربي.

قد يتفق غالبية الباحثين أنّه من الصعب وُضع شريط في خانة معينة أو تخصص معين، وهذا راجع لاهتماماته المتعددة وثقافته الواسعة التي مكنته من اتباع عدة اختصاصات، فنجده أديب لا يشق له غبار صاحب أسلوب جميل و بسيط وذا موهبة شعرية تكشف عن رومنسيته ووجدانيته، وبرع أيضا في النقد فكان قلمه يضرب في عمق الأفكار ويحفر في لب الثقافة، كما برع في الترجمة وهذا لبراعته في اللغة الفرنسية غير أنّه لم تكن ذات تأثير عليه، بل سخر فكره وجهده للدفاع عن العربية ومحاربة دُعاة التغريب والفرانكفونية، وهو أمر سبّب له الكثير من المتاعب والدسائس وأدخله في عدة حروب ومواجهات دفاعا عن اللّغة العربية والهوية الوطنية، حيث قدم تصورات وأفكار بنّاءة من أجل تطوير العربية والنهوض بها. 1972م.

أهم مؤلفات عبد الله شريط:

* الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون
* من واقع الثقافة الجزائرية 1981م.
* معركة المفاهيم 1981م.
* المشكلة الإيديولوجية في الجزائر وقضايا التنمية 1981م.
* شخصيات أدبية، نشر بتونس1958م.
* الجزائر في مرآة التاريخ 1965م.
* حوار ايديولوجي حول المسألة الصحراوية والقضية الفلسطينية 1982م.
* مع التفكير السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر1981م.
* تاريخ الثقافة في المشرق والمغرب 1983م.
* المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي 1976م.

الأعمال الفكرية لعبد الله شريط:

لقد عرفناه من خلال أعماله الفكرية الرصينة وكتاباته الفلسفية المعمقة التي حلل فيها أهم قضايا الجزائر والأمة العربية، فهو من انطلق في رحلته مع النضال بالقلم مع بداية الأربعينات؛ وذلك بغرض تحرير وطنه الجزائر الذي كان يزخر تحت وطأة الإستعمار الفرنسي، وإضافة إلى عمله الأكاديمي وبحثه في مختلف الميادين المعرفية، فهو إعلامي متميز أسهم في إثراء التجربة الإعلامية الجزائرية بتقديمه لعدد من البرامج الثقافية الهامة في الإذاعة الجزائرية.

عبد الله شريط عالم اجتماع:

لقد درس وحلل وأضاف جملة من المفاهيم الجديدة لمسائل على درجة كبيرة من الأهمية مثل: بنية المجتمع ، وأخلاقيات الدولة من المواطن إلى أجهزة ومؤسسات الدولة، ومن أهم قضايا التي شغلت الأستاذ شريط، ظهور وانحدار ثمّ انهيار الدولة ومسألة العلاقة بين التطور الاجتماعي والسياسي وأخلاقيات السياسة والساسة، وازدهار الثقافة والتثقف على أوسع نطاق بين الجمهور.

"يمكن وصف الأستاذ شريط: بالمثقف الشامل؛ أي الذي يوظف جملة من المعارف والمقاربات المنهجية للتعمق في القضايا التي تشغل النُخبة الفكرية والسياسية".(2)

– أعماله:

تميز المرحوم بسلامة المنهج وعمق الفكر وموسوعية الثقافة، وهذا ما يتجلى بوضوح للمتأمل في أعماله المتنوعة، ونظرا لاتساعها لا يمكننا الإحاطة بها إحاطة شاملة وإنّما سنكتفي بالتطرق إلى أهمها. والجدير بالذكر أنّ أعماله الكاملة قد صدرت عن وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة احتفالية الجزائر عاصمة للثقافة العربية سنة 2007م، في طبعة فاخرة في سبعة مجلدات ضخمة.

لقد شملت جميع أعماله الفكرية وكتاباته الفلسفية التي ناقش فيها أهم قضايا الجزائر والأمة العربية. وفي كل الأحوال فالمتأمل في أعماله يدرك–لا محالة– بأنّه قد قدم مكتبة فكرية وفلسفية وأدبية كبرى تعجز عن القيام بها فرق أبحاث مجندة في تخصصات مختلفة.

كما أنّ أعماله لم تقتصر على تأليف الكتب، وإنّما تنوعت من خلال المشاركة في وسائل الإعلام وتقديم حصص إذاعية وتلفزيونية أشهرها: برنامجه الحواري مع الإعلامي مصطفى عبادة. بالإضافة إلى كتابته في الصحافة ومشاركته في عشرات الملتقيات والندوات العلمية.

آخر النشاطات التي قام بها:

قبل تدهور الحالة الصحية للدكتور عبد الله شريط ألقى كلمة متميزة في الندوة التكريمية التي أقيمت بشرفه بالمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، حيث قال: "ما نحن في حاجة إليه منذ سنوات الاستقلال إلى اليوم، وخاصة في السنوات الأخيرة هي ليس الدولة؛ لأنّ الدولة من السهل أن تكونها بالقوانين وبالإجراءات الاقتصادية وبالسجون وغيرها. ولكـــن ثقافة الدولة التي تتطلب أن تكون موجودة عند الحاكم وعند المحكوم؛ لذلك قضيت ما يقرب من عشر سنوات في تأليف كتاب انتهيت من كتابته في خمسة عشر فصلا من مشكلة ثقافة الدولة كيف كانت؟ لماذا كنا محرومين من الدولة في الماضي؟ وماذا كان مفعول هذا الحرمان على الأجيال إلى يومنا هذا؟ وماذا نفعل لكي تكون لدينا ثقافة الدولة؟

نعتمد أولا على الزمن، تطور الزمن لابد منه، لكن لابد من مجهود فكري وثقافي وتعليمي وسياسي بالخصوص، وأخلاقي لكي تتكون لدينا ثقافة الدولة هذه. ربما على عشر سنوات على عشرين سنة على ثلاثين سنة، لا أعرف المهم أنّ ما يشغلني الآن على ضوء هذه التجربة كلها التي قرأتها مع إخواني. التجربة التي خرجنا منها هي: أنّ المشكلة الحقيقية هي التي وضعها سقراط عندما قال: الأخلاق هي التي تقوم عليها الدولة وليس الدولة بمعنى

الحاكمين فقط، ولكن الحاكمين والمحكومين، لذلك أتمنى لو ينصرف الكثيرون من جيلان وحتى الأجيال القادمة إن شاء الله إلى معالجة تكوين ثقافة الدولة؛ لأنّ فيها حل لكل المشاكل التي نعاني منها اليوم". (3)

عبد الله شريط والبعد الإنساني في فكر جمعية العلماء المسلمين:

هذا، بالإضافة إلى المحاضرة الهامة التي كان قد ألقاها بالمكتبة الوطنية الجزائرية بعنوان: "البعد الإنساني في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"وفيها أكد أنّ الجمعية هي واحدة من الحركات الرائدة في لعالم الإسلامي حيث تكفلت بالجانب التربوي والتثقيفي والديني والإصلاحي في الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي؛ وذلك في إطار عملية الإصلاح التي كان ولابد أن تسبق وتواكب ثورة التحرير الجزائرية المجيدة كما اشار إلى أنّ رجال الإصلاح في الجزائر دخلوا المعترك السياسي مدفوعين بروح القومية العربية فاستخدموا الثقافة الدينية للإعداد لمعركة تحرير الوطن من الاستعمار الفرنسي.

واختتم المرحوم مداخلته بتأكيده على أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استطاعت أن تُحدث التحول الكبير من خلال الفهم الصحيح للإسلام الذي عُرف به مؤسس الجمعية العلاّمة عبد الحميد بن باديس.

على مستوى البحث العلمي:

أمّا على مستوى البحث العلمي يمكن اعتبار أهم عمل أنجزه الأستاذ شريط هو: موسوعته الشاملة المسماة بـ "الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية".حيث غطى من خلالها ما كُتب عن الثورة الجزائرية ما بين سنوات 1955– 1962م في الصحافة العالمية، وقد صدرت في ثمانية عشر جزءان عن منشورات وزارة المجاهدين بالجزائر وكتب تقديمها رئيس الجمهورية المجاهد عبد العزيز بوتفليقة ، حيث تحدث فيها مشيدا بهذا العمل الجليل وبصاحبه المفكر ومما قاله الرئيس بوتفليقة في المقدمة:" لقد أصاب صاحبنا الدكتور عبد الله شريط اختيار موضوعه، وحقق هدفه في رفع اللبس والالتباس العالق في الأذهان ، خاصة في أيامنا هذه، بتقديم الدليلمن باب شهد شاهد من أهلها على عظمة رجالها؛ لأنّه من الثابت أنّ الصحافة الدولية في كل العصور ومهما كانت الظروف، لا تلتفت إلى المسائل المهنية ولا تواظب على تخصيص المساحات الكبرى لها على صفحات الجرائد، وبرقيات وكالات الأنباء إذا كانت من حجم الأحداث العابرة، لقد فرضت الثورة الجزائرية حضورا مكثفا في الصحافة الدولية حضورا جعلها تجاور في الصفحة الواحدة أخبار الدول الكبرى".(4)

الفلسفة في خدمة الواقع وصنع التاريخ:

يعتبر عبد الله شريط من بين الذين حاولوا جعل الفلسفة أكثر تعبيرا عن متطلبات الواقع؛ وذلك نظرا لإسهاماته ونضاله من أجل أن تكون الفلسفة في خدمة الواقع وصنع التاريخ. إنّه كالشعلة الوضاءة التي لا تخبو والجدوة المتقدة التي لا تنطفئ لقد اهتم بالجامعة الجزائرية. إنّه رائد من أكبر الرواد الأوائل الذين أسسوا للخطاب الفلسفي في الجزائر المعاصرة، حيث كتب مؤلفات عديدة أهمها: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، من وقائع الثقافة الجزائرية، معركة المفاهيم، المشكلة الايديولوجية، قضايا التنمية وغيرها من الدراسات المختلفة.(5)

و عليه يمكن طرح التساؤل التالي: هل بإمكان الفلسفة الاستجابة لمتطلبات الواقع في اعتقاد عبد الله شريط؟ وما هي الاستراتيجية التي يراها مناسبة لتحقيق هذا الهدف؟

ومنه يمكننا مناقشة هذه الاشكالية إذا ما حاولنا الإجابة على التساؤلات الثلاثة التالية:

أولا: ما هي مكانة الفلسفة بين العالمين المتقدم والمتخلف؟

ثانيا: ما هو دور الواقعية الفلسفية لدى عبد الله شريط؟

ثالثا: إلى أي مدى ابتعد المثقف العربي عن الواقع ومتطلباته؟

أولا: لقد حاول الدكتور عبد الله شريط تشخيص الوضع الفلسفي في العالم المتقدم والمتخلف، وذلك لتوضيح الرؤية حتى يتمكن من ايجاد الحلول والمقترحات التي تناسب الخصوصيات والمتطلبات الراهنة لكل مجتمع، فكيف شخص هذه المسألة؟ وماذا قدم من بدائل واقتراحات لمجابهة هذه المعضلة؟

لو رجعنا إلى إحدى مؤلفاته والموسوم بـ"من واقع الثقافة الجزائرية"، نجده يقول: "نعتقد أن تشخيص المرض أهم من البحث عن الدواء بالنسبة إلينا، لأن خطر أمراضنا في مرحلتنا الراهنة هو أننا نعيشها ولكننا لا نشعر بها"[6]. هنا من خلال قوله نجد أن عبد الله شريط لم يكتف أبدا بإطلاق الأحكام الجاهزة ولا بالنظرة الإستيتيكية حول الوضع الراهن الذي تعيشه الفلسفة في المجتمعات المتخلفة بمقارنتها بالمجتمعات المتقدمة..

وعليه يمكننا طرح التساؤل التالي: هل أن غياب الفلسفة أو حضورها له تأثير على حركة المجتمع، مهما كان نوع هذا المجتمع؟

هنا نجد أن الإجابة متوقفة أصلا على نظرة كل مجتمع لمفهوم الفلسفة من خلال حضورها في مجالات الحياة سواء عن طريق الممارسة أو الخطاب، أو من خلال غياب الفلسفة وغياب الفكر النقدي الحر، الذي يصاحبها ويعمل باستمرار على نقد المبادئ الخاطئة والمعتقدات المتناقضة والعادات والتقاليد الفاسدة، والتي لا تتماشى مع تقدم ومسيرة العالم الحديث.

وفي هذا الشأن يمكننا القول: أن الفلسفة في الجزائر المعاصرة ظلت غائبة وبعيدة عن كل الأحداث رغم كل الاضطرابات السياسية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية.

وهذا ما يدفعنا حتما للبحث عن عدة تساؤلات حول قيمة الفلسفة، دور الفلسفة في المجتمع العربي على العموم والجزائري على وجه الخصوص.

إذن فغياب الفلسفة هذا والذي غيب معه أيضا في المجتمعات المتخلفة، وهي من كانت أساس لتقدم المجتمعات الغربية، وحل محك تلك العقلانية الانفعالية المفرطة والتي عملت على السيطرة على سلوك الأفراد والمجتمعات وكذا الدول، وهذا بالضبط ما وسع الهوة أكثر فأكثر بين العرب والغرب، وهذا ما نجد الأستاذ عبد الله شريط يسهب في شرحه وتوضيحه بقوله: "لقد أصبحت المجتمعات الراقية بسبب تواتر القرون عليها في ممارسة الأمور بالعقل والفحص والتجربة والموضوعية ويتصرفون كما لو كانوا متمدنين بطبيعتهم أي يناقشون بالعقل في السياسة والأخلاق والدين والعلم والفن، فيحكم بعضهم على بعض بالخطأ وبالصواب ويحكمون على أنفسهم كذلك، وقد يكون نقاشهم هادئ وقد يكون حادا. ولكن دائما في مستوى من العقل والاحترام وهذا ما يسمونه عندهم منذ عهد أرسطو إلى اليوم بعلامة التمدن"[7].

كما نجده في موضوع آخر قد تكلم عن قيمة العقلانية والحاجة الملحة إليها، إذا كنا نرغب في اللحاق بركب المجتمعات المتقدمة وفي هذا الشأن يقول: "الفرق بين المجتمع المتمدن والمجتمع المتخلف في هذا الميدان هو مقدار العقلانية في كل منهما، فبقدر كل ما تملك المجتمعات المتخلفة من شحنة هائلة من الانفعال عند النظر إلى مشكلات الماضي والمستقبل المعقدة تتمتع المجتمعات المتقدمة بشحنة من العقلانية والاتزان وضبط النفس وسلطان الرأي في هذه المشكلات بالخصوص"(8).

أما عن دور الفلسفة في تحديد مصير المجتمع فنجد عبد الله شريط يثمن تجربة الفلاسفة الغربيين من أفلاطون إلى سارتر، في تبنيهم لقضايا مجتمعاتهم والتفاعل معها بطريقة تظهر فيها الفلسفة كتفكير متطور وراق ومتقدم لكونها مؤسسة للمعرفة بالدرجة الأولى، وللوجود بالدرجة الموالية وفي ذلك يقول: "إن الفيلسوف عندهم حاول دائما منذ أفلاطون إلى برتراند راسل وسارتر أن يدخل هذه المبادئ الأخلاقية في السياسة العامة للبلاد وفي عقول الساسة والأساتذة والمربيين، ولا يدخلون السياسة في الأخلاق أي لا يلونون الأخلاق بالسياسة العابرة، بل يطبعون السياسة بالأخلاق الدائمة. إن المجتمعات المتمدنة كلما تقدمت خطوة إلى الأمام في طريق العلم كلما اكتشفت أكثر دور الفلسفة في تطور العلم بواسطة الفلسفة، في حين نعتقد نحن في المجتمعات المتخلفة أن الفلسفة سلعة بائرة لأنها تأتي بخبز مادي زهيد ولا تفتح أمامنا أبواب الشركات والبنوك والربح الذي لا حد له. وهذا صحيح إلى حد بعيد، فالفلسفة كانت ولا تزال تعني أن الفيلسوف مطالب قبل غيره بأن يكون مثالا للإمتثال للقانون الأخلاقي الذي يطالب به الناس ويطالب به السياسيون على الخصوص"(9).

الممارسة الفلسفية في الجامعة الجزائرية:

كانت الفلسفة تُدرس في الجامعة الجزائرية باللغة الفرنسية؛ وذلك حتى عام 1968م ثمّ عُرّبت بالإستعانة بأساتذة من المشرق العربي وعلى الأخص من مصر. وحتى أواخر السبعينات ظلت تُدرس في جامعة الجزائر فقط وفي بداية الثمانينات ثمّ فُتح قسم للفلسفة في جامعة وهران وآخر في قسنطينة. وفي منتصف التسعينات فُتح قسم الفلسفة في المدرسة العليا للأساتذة، وبعده قسم ثاني تابع لنفس المدرسة بقسنطينة.

وفي الحقيقة لقد عرفت الجزائر عدد من الأساتذة الذين يشهد لهم بالكفاءات العلمية والكتابة المنهجية الرصينة والأفكار الأصيلة، ممن أثروا بكتاباتهم المكتبة الجزائرية، وأناروا بأفكارهم العقل الجزائري في أحلك أيام الأزمات من بعد الإستقلال إلى ما بعد العشرية السوداء. ومنهم من توفاه الأجل ومنهم من يزال على قيد الحياة. وعلى سبيل المثال نذكر منهم: الربيع ميمون، كريبع النبهاني، مولود قاسم نايت بلقاسم، عبد المجيد مزيان، أحمد عروة، محمود اليعقوبي، عمار طالبي، أبو القاسم سعد الله، عبد الرزاق قسوم، وعبد الله شريط الذي هو محور مقالنا؛ لكونه رائد من أكبر الرواد الأوائل الذين أسسوا للخطاب الفلسفي في الجزائر المعاصرة. وهو من مُؤسسي جامعة الجزائر المستقلة، كما أنّه من كبار الإعلاميين الذين كونتهم الثورة الجزائرية وطنيا وإقليميا ودوليا.

أسئلة ينبغي طرحها في هذا المقال الوجيز عن أحد نماذج الكتب الفلسفية الجزائرية والمتمثلة بكتابات الأستاذ عبد الله شريط (رحمه الله) أحد أعمدة الفلسفة الجزائرية. ومن تلك الأسئلة التي نطرحها: إلى أي مدى يمكن الحديث عن "روح الفلسفة" بالجزائر بلغة الأستاذ عبد الله شريط؟

عبد الله شريط والخطاب الفلسفي:

الخطاب الفلسفي: هو علم يتغذى في القديم على الميتافيزيقيا والدين، أمّا في العصر الحديث فتتغذى تلك الفلسفة على الممارسات الاجتماعية الكلية للإنسان، وهو بنية فكرية أو فلسفية موجودة في وسائل التعبير اللغوي والخطاب له موضوع ويندرج موضوعه بين العمومية والخصوصية وتتمثل النظرة العلمية للقانون الفلسفي مرتبطة بإحكام بمنظور الفلسفة القانونية كفلسفة عالمية.

ما مكانة الجامعة في الخطاب الفلسفي العربي من منظور، الكاتب عبد الله شريط. فما المقصود بالجامعة؟ وما هو التعليم العالي؟ وماذا نعني بالخطاب الفلسفي العربي؟ وما هي علاقة الأستاذ عبد الله شريط بذلك؟

الجامعة هي تلك المؤسسة للتعليم العالي والأبحاث، وهي من تمنح شهادات أو إيجازات أكاديمية لخريجيها، وهي من توفر دراسة من المستوى الثالث والرابع (كتتممة للدراسة الم درسية الابتدائية والثانوية). وكلمة جامعة مشتقة من كلمة الجمع والإجتماع، مثل كلمة جامع ففيها يجتمع النّاس للعلم.

"والجامعة لا تصنع الخبرة بواسطة الهيكل الإداري والتشريعات فحسب، بل لابّد أن تجمع في مدرجاتها ومخابرها عددا من المدرسين والباحثين الذين لا يكتفون بتلقين طلابهم مجموعة من المعلومات المعروفة سابقا أو بمجرد نقل الخبرة الموجودة في البلاد الأجنبية، ولكنهم يتعاونون معهم على اكتشاف الطريق الأمثل واستخدام تلك المعلومات وتمثيلها وتطويرها وفق معطيات الواقع الوطني".(10)

أمّا التعليم العالي أو الجامعي فهو مرحلة عُليا من التعليم تدرس في الجامعات كليات مثل:(كلية ال علوم، كلية الحقوق، كلية الفنون، كلية الآداب....إلخ).

أمّا تعريف الفلسفة لغة واصطلاحا هي ليست طريقة الحياة بنمط محدد وليست مجرد نظرية عن شيء ما كما أنّها ليست عقيدة أو رغبة. الفلسفة نشاط في السعي وراء الحكمة وأيضا نشاط فكري، وهو نوع فريد من التفكير وشكل من أشكال التفكير المقصود منه توجيه الفعل أو تحديد طريقة حياة صحيحة؛ لذلك فإنّ مجالات الفلسفة متعددة وطريقة الحياة الفلسفية تظهر في حياة يكون فيها الفعل أفضل توجيه عندما يكون التفكير الفلسفي قد وفر هذا الاتجاه.

مميزات الخطاب الفلسفي:

الخطاب الفلسفي يتميز بالقدرة على التعميم والتجريد وكيفية صياغة القانون بطريقة مثالية وصحيحة مُراعيا الجوانب الإنسانية ومُعاصرا للحضارات المختلفة، كما أنّه مُخاطبا لجمهور المختصين وبعيدا عن انتماءاتهم الدينية والعُرفية والسياسية.

والخطاب الفلسفي يعتمد على العقل والمنهجية والدليل كطريقة من طرق تأصيل الأفكار وتحليلها والتركيز على محاور جوهرية، ألا وهي بناء فلسفة عقلانية وبناء نسق وسطي معتدل، والتوظيف العقلي للدين مع المساهمة في بناء علمي منهجي مثمر.

كما يتميز الخطاب الفلسفي بالمصداقية التي يقترنها الإثبات بكافة الطرق، وفلسفة المواطنة في عصر التنوير المعقول واللامعقول في الأديان، وهي النظرة التي كشفت العديد من الأفكار القديمة في الفكر الإسلامي.

والخطاب الفلسفي هو من يمثل البنية الفكرية والعلمية والفلسفية التي تكمن في وسائل التعبير اللغوي في هيئة أبحاث أو كتب أو مراجع أو مناظرات، وذلك على مستوى المجتمع بأكمله أو الفرد. ويتطرق الخطاب الفلسفي إلى موضوعات متعددة تندرج تحت مبدأ الخصوصية والعمومية.

كما يُعتبر الخطاب الفلسفي نظام للحوار المباشر والغير المباشر والذي ينبع من العلم والفتوحات والثورة في ذلك الوقت. وهو من العلوم التي تنشغل بالنفس وأحوالها وكيفية تقويم ذاتها وهيئتها، وهو يبدأ وينتهي بقوانين العقل، والواقع مع الأخذ في الإعتبار أنّ العقل مطابق للواقع والعكس صحيح.

يتميز الخطاب الفلسفي بالاتساق المنطقي وعدم التناقض والتعارض مع الذات، وهو من عوامل ظهور الفلسفة وله علاقات متعددة بمرجعياته المختلفة الأبعاد والتراكيب وتصفية التناقضات والتعارضات في النص الجديد وله دور في استقلال الذات وشعورها بالقناعة والامتلاء والكفاية المعرفية.

وأخيرا يمكن القول أنّ الفلسفة تعمل كنشاط يستجيب لطلب المجتمع للحكمة والذي يجمع كل ما نعرفه من أجل الحصول على على ما نقدره من هذا المنطلق، وتعتبر الفلسفة جزء من نشاط النمو البشري، وبالتالي فهي جزء أساسي لا يتجزأ من عملية التعليم، كما أنّ للفلسفة والتعليم هدف مشترك يتمثل في تنمية الفكر الكلي للشخص وإدراك الامكانيات البشرية.

أهم أفكار المفكر عبد الله شريط :

المسألة الأخلاقية:

يعتبر عبد الله شريط أنّ للفلسفة دور أساسي في تطوير الفكر، إذ لها مهام متعددة ومتشعبة، منها حسبه "الاهتمام بمشاغل الناس الفكرية المرتبطة بحياتهم الواقعية المعاشة، ومعناها ثانيا استكشاف المستقبل من خلال نبضات الحياة الراهنة بطريقة تتجاوز الواقع ومحاربة المعطلات الخرافية والانفعالية المفرطة سواء على مستوى الجماهير أو الساسة.[11] ويضيف في دورها داخل المجتمعات المتخلفة "محاربة الاتباعية الفكرية التي تتم عن طريق غير فكري إطلاقا".[12]

ومن هذا نجد تأثر عبد الله شريط في بداية حياته الفكرية بالعلاّمة ابن خلدون، فكان أول عمل له في أطروحته للدكتوراه هو: "الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون" والذي يبرز فيه عمق فكر ابن خلدون، حيث أعطى كتاب "المقدمة" رؤية جديدة تعدت القراءة المعهودة والكلاسيكية له، واستطاع عبد الله شريط بقراءة مستجدة أن يُبرز لنا مسألة مهمة وأساسية عند ابن خلدون ألا وهي الجانب الأخلاقي العملي ووجوب التأسيس لها في ثقافتنا.

إشكاليــة الثقافــة:

بعد استقلال الجزائر كانت قد ورثت السلطة الحاكمة كما كبيرا من المشاكل والأزمات التي تركها المستعمر خلفه بداية بتحقيق الأمن والقوت للشعب الجائع وبناء مؤسسات قوية تستطيع تسير أمور البلاد، وهذا كله لن يكون ذا أسس متينة إلا من خلال إخراج هذا الشعب من مستنقع التجهيل الذي عاش فيه طيلة 130 سنة، وانتهجت السلطة مدعومة بمثقفيها الأوفياء أمثال عبد الله شريط، مبدأ التعريب والتأسيس للهوية الوطنية وغرسها داخل الأجيال، وإعلان الثورة الثقافية لن يُؤتي ثماره إلاّ من خلال عاملين اثنين:

-الجانب التقني، يعطي اللغة العربية القوة على استدراك التطور الحضاري التي وصلت إليه الدول المتطورة، وهذا

بتزويدها وتحيينها بالمفاهيم العلمية والتقنية الحديثة.

– الجانب الشمولي ويتمثل في تعمم اللغة العربية، بحيث نجعلها لها القدرة على ان تكون في يد مختلف فئات لمجتمع.

وحسب عبد الله شريط إنّ المثقفين والنُخب والإطارات تعيش في معزل عن القاعدة الشعبية كونها تتواصل معه بلغة ومفاهيم لا يفهمها، مما خلق هوة بينهما امتدت مع الزمن وأصبحت أزمة ثقافية عويصة.

يرى شريط أنّ النظام الاشتراكي الأنسب لمثل هذه الحالات بحيث يقلص تلك الهوة و يجعل نوع من التواصل بين الفئتين فيقول: " أول مبدأ ننطلق منه في تبني الاشتراكية كمذهب في حياتنا ...أنّها تمكننا من تحقيق هدفين: الأول حضاري وهي أن نخرج من التخلف ونلتحق بصفوف الأمم الراقية. والثاني: إنساني يحقق للطبقات المحرومة في المجتمع كرامتها الإنسانية عن طريق مساواتها اقتصاديا".[13]

وكذلك ويرى شريط أنّ من أهم الآليات لنجاح الثورة الثقافية هما آليتان مهمتان :

الكتاب: الذي هو أولوية على الخبز والحليب في تصوره، وان رأت الدولة أنّ انتاجه ضعيف عليها أستيراده، كما يجب في نفس الوقت تشجيع الكتابة المحلية و تدعيمها.

الإذاعة: في تصوره الإذاعة لها دور أساسي في توعية المجتمع وحمله نحو اتجاه حضاري راقي سليم، فللإذاعة قابلية عند جميع شرائح المجتمع باختلاف مستوياتهم، بشرط أن تكون ذات صيرورة تطورية باستمرار، وتكون مهمتها غربلة الإنتاج الثقافي وإيصاله للسامع نظيف من كل الشوائب.

الفلسفـة و التاريـخ:

عندما يتحدث شريط عن التاريخ، فهو يتحدث عنه بإجلال وعظمة ويحاول أن يحصره في الهوية الوطنية، إذ نجده يعطي فسحة كبيرة حول اللغة العربية والدفاع عنها "إننا على يقين من أن أجيالنا الصاعدة ستلتفت يوما إلى تُراثنا إلتفاتة جدية وتعمل على إعادة بناء ماضينا على أُسس علمية سليمة. إنّ تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي أثقل وطأة من أن تنهض به جهود فرد أو فردين مهما كانت عزيمتهما صادقة"[14].

يعتبر عبد الله شريط من المفكرين القلائل في الجزائر الذين امتازوا بالفكر التنويري العقلاني والحداثي ونجده في كتابه "من واقع الثقافة الجزائرية" يُعالج قضايا وإشكالات من واقع الثقافة الجزائرية وحاول تشخيص الدّاء، دون أن يقوم باعطاء حلول لهذه المشكلات وهذا ربّما راجع في تصوره "لأن خطر أمراضنا في مرحلتنا الراهنة هو أننا نعيشها ولا نشعر بها."[15]

لقد اعتمد عبد الله شريط على منهج حداثي في تحليل القضايا التي طرحها، ومن ميزات هذا المنهج اعتماده على العقل المحلل والابتعاد عن نبذ العاطفة الطفولية مثلما يصفها هو والأحكام المرتجلة. والقارئ لكتاباته يظهر له جليا تأثره الكبير بالتراث العربي الإسلامي وبالخصوص شخصيتي الجاحظ وابن خلدون، فالجاحظ يظهر تأثره به في المجال الأدبي الحامل للثقافة العلمية، وأمّا ابن خلدون في المجال الاجتماعي الحامل بالتجربة.

كما يرى شريط أنّ الوصول للحقيقة يتوجب تضافر جهود المؤرخ والفيلسوف، يقول: "مهمة المؤرخ أن يفهم الماضي فهما جديا وفي فهمه هذا يُصبح التاريخ منظارا يستشف منه الفيلسوف المستقبل. واستشفاف المستقبل من خلال

النظرة الجديدة إلى الماضي يصبح حافزا لبناء الحاضر في الحياة الفكرية والاجتماعية إنّ البناء الحضاري يتم بهذه النظرة الازدواجية — استرجاعا واستشفافا — ويجد فيها كل من الفيلسوف والمؤرخ نقطة انطلاقه في عصره[16].

يؤكد المفكر شريط أنّ هناك عدة أخطاء معرفية يقع فيها الباحث والمفكر في تعامله مع الفكر الغربي وأهمها:

– أنّ مفكرينا يرتكبون نفس الأخطاء التي وقع فيها الفارابي وابن سينا والمتمثلة في غلوهما في تقليد الفلاسفة اليونانيين لدرجة خلق هُوة واسعة مع مجتمعاتهم، وهو الأمر الذي نوّه إليه ابن خلدون .

– تقليد مفكرينا الغير محدود للفكر الغربي وعدم اكتفاءه بالمنهج فقط، حيث نجدهم يعتمدون المنهج وجميع ما يحتويه من مضامين، والأمر الذي خلق تباعدا كبيرا بينهم وبين مجتمعاتهم وواقعهم.

إنّ عبد الله شريط من المفكرين القلائل الذين كانوا سباقين إلى خلق تقارب بين الفلسفة والواقع، وبين الفلسفة وقضايا المجتمع، بالنسبة إليه الفكر الذي يعيش في الأحلام لا نفع منه إذا لم يعايش هموم الناس ويبحث في أمراض المجتمع، كما اعتبر التنوير والتحديث ليس استهلاك الأفكار الغربية ومناهجها فقط بل يجب التجديد والإبداع والخلق، وفي رأيه لن يكون هذا إلا بلغة قوية مُدعمة متجددة، فكرس حياته وفكره يدافع ويحارب من أجل اللّغة العربية ويدعو إلى تطويرها وإدخال مفاهيم علمية جديدة عليها تمكنها من مواكبة العصر لا طمسها وتحييدها لصالح لغات أجنبية أخرى "اعتقد اعتقادا جازما أنّ أغلب أسباب فشلنا في أي ميدان كان لا يرجع إلى الأسباب الطبيعية بقدر ما يرجع إلى الأسباب البشرية لإهمال ولقلة العناية وخطأ التقدير وعدم التفطن للأمور قبل وقوعها، كل ذلك يُضاف إلى نفسية الغرور وضيق الأفق والاكتفاء بالمجهود الأقل مع الطمع في أحسن النتائج[17].

خاتمة:

- وصف مسار عبد الله شريط بالعقلاني والتنويري، حيث لوحظ أنّه مارس هذه المبادئ في سلوكه ومحاوراته العادية والمتخصصة.
- كان الأستاذ شريط يمثل بالنسبة لطلابه الفيلسوف الذي يتكلم بلغة الأدباء.
- حاول شريط تجاوز عقبة ازدواجية الواقع والثقافة وعقبة اللغة كأداة لحل مشاكل المجتمع.
- أنّ منهجيته وُصفت بالمنهجية الدقيقة، حيث قام بتصحيح الكثير من المفاهيم، مثل: مفهوم المعرفة السياسية والبعد التاريخي. كما ذُكر أنّ هذا البعد تصنعه فلسفة التاريخ التي تبدأ بتصحيح المفاهيم لتصل إلى تدقيق المصطلحات والمفاهيم.
- كان عبد الله شريط أستاذا بكل معنى المواصفات، كان قُدوة لطلابه حيث يرونه في المدرج قبلهم. وكان الهدوء يعم المدرج أثناء محاضراته.
- لقد كان يعتمد في تحليل المسائل الفكرية مستندا على واقع المجتمع الإنساني رابطا بين الحاضر والمستقبل.
- لقد حاول تشخيص الوضع الفلسفي في العالم المتقدم والمتخلف؛ وذلك لتوضيح الرؤية حتى يتمكن من إيجاد الحلول والمقترحات التي تناسب الخصوصيات والمتطلبات لكل مجتمع.
- توفي عن عمر يناهز 89 سنة يوم الجمعة بتاريخ 10جويلية 2010م، ودُفن بمقبرة العالية بالجزائر العاصمة.
- خلف الأستاذ عبد الله شريط تراثا فلسفيا غزيرا أثرى به المكتبات الجامعية.

المصادر والمراجع:

1- اسماعيل زروخي، الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام، الندوة الفلسفية 12، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة01، 2002م.

2- عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة02، 1981م.

3- عبد الله شريط، المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981م.

4- عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ط02، الجزائر، 1981م.

5- عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1981م.

6- عبد الله شريط،محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث قسنطينة الجزائر، الطبعة1965،01م.

7- عبد الله شريط نقلا عن محمد العربي ولد خليفة، عبد الله شريط المفكر والمناضل الحر بأقلام فئة من معاصريه وتلاميذه، جريدة الشعب، الجزائر، العدد 17، جويلية 2010م.

8- عبد العزيز بوتفليقة، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية "للدكتور عبد الله شريط"، منشورات وزارة المجاهدين بالجزائر، الجزء01، نقلا عن مجلة الكتاب، العدد 02، 2005م.

9- محمد العربي ولد خليفة، عبد الله شريط المفكر والمناضل الحر بأقلام فئة من معاصريه وتلاميذه، جريدة صوت الأحرار، الجزائر، العدد 18، جويلية 2010م.

10- محمد شريف عباس، كلمة الوزير، مجلة الكتاب، اليوم التكريمي للدكتور عبد الله شريط، المكتبة الوطنية، الجزائر، العدد 02، 2005م.

الهوامش:

(1) - مجلة الكتاب عدد2، 2005م، ص3.

(2) – صوت العرب:2010م، ص11.

(3) – جريدة الشعب: العدد17، 2010م، ص11.

(1) – مجلة الكتاب، عدد2، 2005م، ص4.37

(5) – الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام، ط1، 2002، ص470.

(6) – من واقع الثقافة الجزائرية، ط2، 1981م، ص6.

(7) – عبد الله شريط، المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، 1981م،ص7.

(8) – عبد الله شريط، المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، 1981م،ص7.

(9)– عبد الله شريط، المشكلة الايديولوجية وقضايا التنمية، 1981م،ص7.

(1)– محمد العربي ولد خليفة،1989م،ص10.197

(11)– عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، 1981م، ص8.

عبد الله شريط المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، 1981م، ص12.8

عبد الله شريط، المشكلة الأيديولوجية وقضايا التنمية،1981م، ص13.9

(14)– عبد الله شريط، الجزائر في مرآة التاريخ،1965م، ص18.

عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، 1981م، ص15.06

عبد الله شريط ،المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية،1981م، ص16.11

– عبد الله شريط، معركة المفاهيم، 1981م.17